

أعرّف الإسلام ، وأنا أحاضر قوماً هم بحمد الله مسلمون ، ولا يكون مسلماً من لا يعرف ماهو الإسلام ، ولا صلة له بعلومه ، ولا اطلاع له على أحكامه ، ولا وقوف له على أمره ونهيه ، وعند أمره ونهيه . إن من البت أن أقول لكم إن ديننا إيمان وعقائد ، وإسلام وعبادات ، وإحسان وأخلاق ، وسياسة وشريعة ، وإن له في كل جانب من جوانب الحياة مصباحاً يضيء ، ومنازلاً يهدي ، وإنه لا يفارق المسلم أبداً ، ولا يدعه لحظة . إن كان وحده ، منفرداً بنفسه كانت معه الإسلام بأمره بأن يحاسب نفسه ، ويتوب من ذنبه ، ويتأمل في بديع صنع الله في نفسه وفي العالم ، ويستدل بالصنعة على الصانع ، وبالأثر على المؤثر . (وفي أنفسكم) أكبر الدلائل ، وأقوى الحجج ، (أفلا تبصرون ... ؟) أو لا تفكر هؤلاء الجاحدون (أخلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟) . (أو لم تفكروا في أنفسهم ؟ ما خلق الله السموات والأرض إلا بالحق وأجل مسمى) ، (أفلا تتفكرون) . وإن كان المسلم في المجتمع كان معه الإسلام ، يبين له سبيل الحكمة ، ويدله على صراط الأخلاق المستقيم . ويأمره بأن يحسن استعمال هذه القوى التي وهبها له الله ، فلا يتبع بها ما ليس له به علم ، (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً) ولكن يستعملها في سبيل العلم ، العلم كله حتى الفلك والجيولوجيا وعلم الأجناس ، هذه العلوم من آيات الله . ألم يأمر الله بهذه العلوم التي يمنحها بعض مشايخ العصر ؟ قال تعالى : (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين) ، (إنما يخشى الله من عباده العلماء)

ينظم الإسلام العلاقة الاجتماعية خير تنظيم ، ويبني الأمة أمن بناء ، يبدأ بإنشاء الأسرة فيجعل لها رأساً مسئولاً ، له حق الطاعة لينتظم الأمر ، وتم المصلحة ، وعليه واجب العدل والعمل ، وجعل الرجل هو الرأس^(١) لطبيعة تكوينه وخلقه ونوع عمله وغايته (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) وجعل على النساء

(١) ومن آيات الله في ملكوته أن الرأس لا يكون إلا مذكراً في اللغة وفي الحياة ، ولكن أكثر الناس غفلوا عن الآيات فأثروا في صحفهم : هذه الرأس ، وقالوا في بيوتهم : هي الرأس !

الجراد يأكل البموض ، والمصفور يقترس الجراد ، والحية تصطاد المصافير ، والقنفذ يقتل الحية ، والتعلب يأكل القنفذ ، والثعب يقترس الثعلب ، والأسد يقتل الثعب ، والانسان يصطاد الأسد ، والبموض يميت الانسان ... هذه هي السلسلة الالهية الخالدة لا تبديل لها ولا تغيير . إما أن تقتل الأسد ، وإما أن يقتلك البموض

فيا شباب ! لا يقلبكم البموض ، ولكن اغلبوا الأسود !

الحق ثقيل ، ولكن الحق أحق أن يقال . فأرجو ألا يغضب من ههنا ممن يحسبون أنفسهم شيوخاً إن خاطبت الشباب ، وقلت إن المستقبل للشباب . ولكن من هم الشباب ؟ يصف أندريه موروا الشباب بالرغبة الأكيدة في حياة العاطفة والحب ، وحياة الحماسة والبطولة ، أي بالمجون والاستهتار ، والميل إلى الإصلاح ، والإخلاص للمبدأ والزعيم ، والاندماج والفناء في المجموع (في الجمعية أو الحزب أو الأمة) وبأنهم أدنى إلى المثل العليا ، وبأن شعارهم الإقدام والتجمل والسرعة وبعض الأناة والانتظار^(١) . الشباب بهذه الصفات ، ليس الشباب بورقة النفوس وسجل الميلاد ؟ فكل من مات قلبه ، وانطلقت شعله حماسه ، وضاعت مثله العليا ، وأحس بأنه قد بلغ مأملة فلم يعد له أمل ، فهو شيخ ولو كان في العشرين من سنه . وكل من كان له قلب ، وكانت له آمال ومطامح ، وكل متحمس مندفع شاب ولو شاب !

فلا تغضبوا ياسادتي الكهول إذا قلت إن المستقبل للشباب ، ورفعت من شأن الشباب ، فإن فيكم شباباً ولو ابيضت لحام وردوسهم ، وانحنت ظهورهم ، وتجمدت جباههم . هم شباب العزائم والقلوب ! وهؤلاء الخاملون من الشباب هم الشيوخ . لا تعجبوا ياسادتي ، فلقد كان شوقي شيخاً في مطلع شبابه يوم كان شاعر الأمير ، ثم عاد شوقي شاباً في كهولته يوم صار شاعر الآمال والآلام ، شاعر المروية والإسلام ...

بقى على تعريف الإسلام ، ولكن من العيب يا سادتي أن

(١) أنفرد موروا : عن كتاب (طريق العادة) تعريب سعيد التضاوي — وهو مجموعة محاضرات في المادة والزواج والأسرة — خليق بكل شاب أن يقرأها

فصل الاسلام عن السياسة ، لأن الاسلام ليس ديناً ، ولكنه دين وسياسة . هل تستطيعون ياسادتي أن تحذفوا سورة براءة مثلاً من القرآن لأنها سياسة .. ؟ وإن قبلنا مبدأ استقلال العلم عن الدين لأن الدين لا يستند إلى البحث العلمي ولا إلى العقل فلا يصح أن نسحب هذا الحكم على الاسلام لأن الاسلام ليس ديناً وسياسة فقط . ولكنه دين وسياسة ومنطق وعلم ...

— هذه ياسادتي حقيقة ظاهرة ظهور الشمس، ولكن أكثر شباننا لا يرونها، خفيت عنهم، وغربت هذه الشمس من أفق تفكيرهم، فتخبطوا في ظلام ليل أليل، فلذلك ترونهم يأخذون كل ما يقوله الافرنج عن دينهم فيطبقونه على الاسلام، على الاختلاف بينهما، والتباين بين طبيعتهما ...

ولعل من هذا الباب تسمية العلماء رجال الدين وإنها لتسمية باطلة فشت على الألسنة وعم بلاؤها ونسى المسلمون أنهم كلهم رجال الدين . دين الاسلام، دين المساواة والسمو والعمل، ليس فيه طبقات مميزات من طبقات، وليس أحد أحق به من أحد، وليس فيه جماعة هم وكلاء الله، يحلون ويحرمون، وهم أصحابه الأذنون وأهلوه الأقربون، وغيرهم الأبعدون، ولكن المسلمين كلهم (أبناء النبي وعترته والفرسيين والصينيين) وكل من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ... لا فضل لأحد منهم على أحد إلا بالتقوى والعلم والقيمة الشخصية : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) (لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى) ... (يا فاطمة بنت محمد ، لا أعني عنك من الله شيئاً) ...

— فلا تقولوا للعلماء رجال الدين، ولا تحملوهم وحدهم واجبات الدين، فإن رجال الدين هم كافة المسلمين . ليس عندنا إلا العلم والتقوى، فمن كان عالماً عظيماً وسألناه، ومن كان تقياً أجيبتنا وأجللناه، ومن أخطأ وحرف رددناه أو ردعناه كأننا من كان ذلك المخطئ، وذلك الناقد . ليس الناقد بأقل من تلك المعجوز، وليس المنقود بأجل من عمر !

— هذه المسألة الأولى . أما المسألة الثانية التي أحب أن أوجه إليها أنظاركم، فهي أن الدين على ما يفهمه العلماء من أهل أوروبا هو الذي ينظم علاقة الانسان بالله، وبما خلق الله من المخلوقات المنيات وراء المادة وبالعالم الآخر، فلا علاقة له بالحياة السياسية ولا الأوضاع الاجتماعية، ولا بالقوانين والنظم، ولا يصح أن تبنى

واجباً، ولكنه أعطاهن حقاً مثله (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) ، ورفع من شأن التربية، وجعل للربين الأولين، وللوالدين أرفع مقام، وجعل طاعتها مقرونة بالتوحيد الذي هو رأس الدين وبيت قصيده ودعامة بيته . قال عز من قائل : (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) ووضع خير القواعد وأحكامها للزواج والطلاق (١) والإرث، وينظم الاسلام أمور الأمة، ويقيمها على أساس من الفضيلة والمدل . (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والآنم والبني بغير الحق) ويشرع لها القوانين الثابتة المحكمة في معاملاتها، والقواعد الأخلاقية السامية في علاقاتها الخاصة، ويدعو إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والدليل الواضح والبرهان القاطع، لا بالارهاب ولا بالترغيب . (يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً) ودعا المخالفين إلى الحاجة والمناظرة، وإقامة الأدلة (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم) (أإله مع الله قل هاتوا برهانكم) . وعاب الاسلام التقليد والجور واتباع الآباء والأجداد، وإهمال العقل، ودفع الناس إلى التفكير، وإقامة البراهين العقلية والأدلة اليقينية، أي أنه دعا منذ (١٤٠٠) سنة إلى الطريقة العلمية التي يفخر بها علماء اليوم ويظنونها من ابتكارهم وأثرأ من آثار حضارتهم . قال تعالى يذم أهل الجور وينبي عليهم (وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله، قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون ؟) إنكم تعرفون هذا كله أيها السادة لأنكم مسلمون، وإن من العيب أن ألقى عليكم فنا جئت لأعرف الاسلام ولا أورد تعريفه . ولكن أحببت أن أوجه أبصاركم إلى مسألتين مهمتين : أما المسألة الأولى فهي أن ديناً يضع للعقل قواعد في التفكير، ويشرع للعلم طريق البحث، وينظم حياة الفرد وحياة الأسرة، ويكون هو القانون المدني والجزائي، والقانون الدولي، والأخلاق والفلسفة — إن ديناً هذا شأنه لا يصح أن يمد مع الأديان التي لا تتجاوز أحكامها عتبات معابدها، ولا يجوز أن نطلق عليه ما يطلقونه عليها من أحكام . فاذا قبلنا مبدأ فصل الدين عن السياسة مثلاً وهو مبدأ محترم، فلا يصح أن نستنتج منه وجوب (١) لا تمتنع عن قواعد الطلاق المحكمة إلا في كتاب العلامة الشيخ احمد شاكر

نظر ونقد

شعراؤنا في موكب الزفاف

كان زفاف الفاروق حرسه الله بهجة غمرت جنبات مصر ، وهزت شعور أبنائها على اختلاف طبقاتهم بالجدل والسرور ، فهضوا يتساقون في إعلان جذلهم وسرورهم بشتى المظاهر والظواهر ، فإذا مصر من ذلك في صورة رائعة من الواقع رجحت الخيال ، وأصغرت مالها من الأشباه والنظائر في التاريخ ، وأزرت بما يمثلها القصص الموضوع عن « الليالي الملاح » في ألوان الترف والنعيم ، واشتال الأناج والصفاء ، ومهارة العقل فيما أبدع ، وجمال الفن فيما نوق ؛ على أنها تفرد في هذا كله بجلال الاخلاص ، وصفاء الحب ، وروعة التمجيد . وسيكون للتاريخ من ذلك صفحة وضاعة مشرقة ، لم تكن له في الأيام الحالية ، أخشى أن يظالمها الناس فيما بعد فيقولوا : إنها تلفيق الخيال ، وصنيع الكذب ، كما نقول نحن في ليالي ومحافل ألف ليلة وليلة وأشباهها من القصص المختلق

لقد شهد المصريون جميعاً ذلك اليوم ، وامتلأت نفوسهم وقلوبهم بروعته وجماله ، واستطاع كل فرد وكل جماعة أن تبرز عن شعورها بذلك أوضح تعبير وأجمله ، فكان اليوم في كل مناحيه ومظاهره يوم الشعراء ؛ الشعر يبدو في مجاله ، والحسن يزهر في حواشيه . هو دنيا تفيض بالجمال والجلال ، وشمس تشع على الكون نور البهاء والرواء ، فأينما سرحت النظر وجدت حفراً للشعور ، وإرهاقاً للإحساس ، وتركبة للمواطن ؛ والشعراء كما نعلم أوفر الناس شعوراً ، وأرهفهم إحساساً ، وأزكاهم عاطفة ، تلك هي مواهبهم التي تميزهم عن سائر الناس ، وتطوع لهم الصناعة الشعرية دون غيرهم ، فكان لا بد أن تفيض نفوسهم بما رأوا قوافي كاهل الإحساس بالجمال والجلال ، وأن يجري شعرهم بما في نفوسهم أوزاناً صادقة منسجمة هي لحن الزمن الباقي على الزمن ، ونغمات الأجيال المتعاقبة على كبر الدهور

على هذا الاعتبار كان الشعر سجلاً خالداً لحوادث التاريخ ،

عليه الجامعة الوطنية . هذا ما يقرره العلماء الذين بحثوا في هذه الجامعة وطبيعتها وقيمتها ، وفي مقدمتهم (رينان) في محاضراته المشهورة التي ألقاها في السربون سنة ١٨٨٢ . وهذا صحيح في الأديان ولكنه ليس بصحيح في الإسلام ، لأن الإسلام ذاته وطنية ، ورابطة اجتماعية معنوية ، ليست قائمة على لغة ولا على أرض . ولكن على ما يسميه (أرنست رينان) بالارادة المشتركة ويجعله أساس الرابطة الوطنية . فليس وطن المسلم مكة ولا المدينة ولا البلد الذي ولد فيه ، ولكن وطن المسلم المبادئ الإسلامية ، فحينما وجدت هذه المبادئ وحينما كان أهل (لا إله إلا الله محمد رسول الله) فتم وطن المسلم . وعندى أن هذه الرابطة الإسلامية رابطة (إعنا المؤمنون إخوة) معجزة من أعظم معجزات الإسلام لأنه أقر منذ أربعة عشر قرناً المبدأ الذي اهتدى إليه العقل البشري سنة ١٨٨٢ م وسار منذ أربعة عشر قرناً في الاتجاه الذي يسير فيه العالم اليوم . لقد سقط اليوم مبدأ القوميات التي دعا إليه الرئيس ولن بعد الحرب ونهضت المبادئ الفكرية الاقتصادية ، فانقسم العالم كما ترون إلى جهات ثلاث : الديمقراطية والشيوعية والفاشية . وكما أن الشيوعي الفرنسي أخو الشيوعي الروسي ولو تراءت النديار وتباينت اللغات واختلفت الأجناس فكذلك المسلم أخو المسلم ، أينما كان وكيفما كان . وكما أن الفاشي الإيطالي أقرب إلى الإسباني الفاشي من أخيه الإسباني الشيوعي فكذلك المسلم الهندي أقرب إلى من غير المسلم ولو كان عربياً هاشمياً قرشياً !

وليس هذا مجال البحث في الجامعة الإسلامية ، وطريق تحقيقها ، فإن لهذا البحث موطناً آخر^(١) وما أردت إلا لفت أنظاركم إلى هذه الناحية من الإسلام ، لأقول بأن الشاب المسلم لا يستطيع أن يتدمج في أي رابطة دولية تقوم على أخوة غير الأخوة الإسلامية ، ولا يقدر أن يدعو إلى أي رابطة قومية أو جنسية لأنه ليس من المسلمين من دعا بدعوة الجاهلية ..

« البقية في العدد القادم »
على الطنطاري

(١) وإن هذه الجامعة التي تسخر اليوم في قلوب المسلمين عقيدة من عقائد الدين الأول ، وأمل من آمال الحياة السامية ، ستغدو في القدر القريب حقيقة واقعة مشاهدة ، وقد بدت بوادرها في اتجاه مصر العظيمة إلى الإسلام ، ورجوعها إلى الدين ، يقدمها أمير المؤمنين الملك الصالح (فاروق) أمن الله به الدين وحقق فيه آمال المسلمين